

الرسائل الربانية

رسالة خاصة

ماذا يريد الله من البشر؟ والهداية واضحة فالله يقول:
﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمَسِّلُوا
مِثْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾
[النساء ٢٧، ٢٨].

وكان الله سبحانه وتعالى يقول: أريد أن أغفر لكم.. أن
أرحمكم وأهديكم، فكان الغاية من الحياة والهدف من الدنيا أن نُقبل
إلى الهداية.. ولهذا الهدف العظيم، فإن الله سبحانه وتعالى لا
يتركنا هكذا وإنما يرسل لنا في كل لحظة رسالة تقودنا إلى الهداية..

وإذا كان هناك من يتساءل: ما ذنب غير المسلمين في الغرب
الذين لم يسمعوا عن الإسلام؟ وكيف يحاسبون على ذلك؟.. فإننا
نقول: إن الرسائل الربانية لا تنحصر في المسلمين فقط، وإنما تشمل
الناس أجمعين..

ولا يوجد إنسان على وجه الأرض إلا وبعث الله له رسائل
لا حصر لها.

فهي معاً تعد رسائل الله لهداية البشر فتعبرها منار...

١ - الأنبياء: فقد أرسلهم الله ولم يكتف بنبي واحد، وإنما أنبياء كثيرين فقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] أنبياء بعد أنبياء يرسلهم الله تبارك وتعالى للبشرية.

٢ - كتب سماوية كثيرة ومتعددة.. بلغات مختلفة ولأقوام كثيرين، حتى ختمت بالقرآن الكريم.

٣ - هذا الكون الواسع من حولنا: فمن يطالع الكون من حوله يشاهد بديع صنع الله تعالى، ولذا فالعلماء يقولون: إن الله أرسل للبشر كتابين: كتاب مقروء وهو القرآن الكريم وكتاب منظور وهو الكون، حتى لا تكون حجة لمن لا يقرأ، فكل ما عليه أن ينظر حوله ويتفكر..

٤ - الإنسان نفسه وخلق العجيب.

﴿وَقَدْ أَنْفَسْنَا أَفْئِدَةً أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] انظر إلى نفسك كيف تتحرك، وكيف هي أعضاؤك، وكيف جهازك الهضمي، وكيف دمك الذي يسري في عروقك... علم عظيم وحكمة تدل على خالق مبدع سبحانه..

هذه الرسائل كلها رسائل عظيمة وعجيبة وهي رسائل عامة لكن الله سبحانه برحمته بنا لم يكتف بذلك، لكنه بعث رسائل خاصة... لكل واحد فينا رسالة خاصة به وحده تجذب قلبه، وتوقظ هذا الإنسان، وقد تهزه وتزلزل كيانه، لكن للأسف لسنا جميعاً نجيد القراءة.. لسنا جميعاً نفهم على الله ﷻ ولذا كان من أجل نعم الله على الإنسان أن جعله يفهم.. فمنهم من أدرك حكمة الله في تصريفه لحياته فيزيد تعلقه بالله سبحانه.. ومن وفقه الله

سبحانه هو من وفقه إلى فهم رسائله..

ومن سوء عمل الإنسان أن تزيد غشاوته، فلا يدرك هذه الرسائل ولا يفهمها، وثمود مثال على ذلك: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

ونحن نخص الحديث عن الرسائل الخاصة التي قد تكون خفية، مثل أن تقع عينك على فقير معدم لا يجد ما يأكله أو يدور حول القمامة يحاول أن يجد فيها ما يسد رمقه.. فيقول المبصر: الحمد لله على العافية والنعمة.. أو أن ترى صاحب سلطان وقوة كيف ظلم وتجبر، حتى نزع الله عنه سلطانه وتركه معدماً، فيستيقظ المبصر ويقول: لن أعتد على أحد، سأعتمد على الباقي الذي لا يفي أبداً.. ولا يضعف.

ويمكن أن تكون الرسائل أكثر وضوحاً، لكنها تحتاج قراءة متأنية.. موت صديق مثلاً، أو مصيبة تقع لك فتتذكر أنك فعلت من الذنوب ما تستحق عليه أكثر من ذلك فيذكرك الله.. فإله يوفقك ويقول لك: أين تذهب؟! لن تسمعها بأذنيك، ولكن ستكون واضحة أمامك في مشكلة تحدث لك: في مرض ابن أو نقص في رزق.. من لك غير الله؟... من سيأخذ بيدك غيره؟ وهذه الرسائل فقط تحتاج لقلوب نقية كي تفهمها.

وهناك أمثلة على الرسائل الراضية تماماً التي لا بد أن تقرأها...

ومنها الرسالة التي أرسلها الله إلى مالك بن دينار، وهو أحد كبار التابعين.. كانت بدايته فاجراً شديداً العصيان، يقول هو عن

نفسه: ما تركت ذنباً إلا فعلته.. بقيت على ذلك عمراً أؤذي الناس، وآخذ أموالهم، حتى جاء يوم رأيت رجلاً في السوق يشتري حلوى ويقول للبائع: أعطني وزدني فإن لي ثلاث بنات، وإن الرسول ﷺ بشر من يدخل البسمة على وجه بنات صغار بالجنة يقول: فوقع في قلبي حب البنات فتمنيت أن أتزوج، وأنجب بنتاً **الاصط هذه رسالة شريفة الرضوخ** فهذه رسالة لم تأت لمتدين وإنما لعاص.

يقول: فاشتقت للزواج ولكن تساءلت: من يزوجني وأنا على فجوري هذا؟!.. فقللت من فسقي بعض الشيء.. وأنجبت ابنة كما طلبت من الله سميتها (فاطمة) أحبتها بشدة وكلما كبرت كلما قوي الإيمان في قلبي وضعف الفسق والفجور حتى أصبحت بنت ثلاث سنوات، ورغم أنني كنت سكيراً، إلا أنني قللت من الشرب كثيراً، إلى يوم كنت أشرب فيه فأزاحت بيديها الكأس عن فمي، فشعرت أن يد الله هي التي أزاحتها.

حتى حدث أمر عجيب.. فجأة.. ماتت فاطمة.. يقول: فرجعت أسوأ مما كنت من قبل، لا أكاد أستيقظ من الخمر.. ولم يكن لدي من الإيمان ما أصبر به.. حتى جاءت ليلة، فقلت: لأسكرن كما لم أسكر من قبل.. فبقيت أشرب وأشرب حتى سقطت مغشياً علي فرأيت في المنام رؤيا عجيبة، رأيت وكأنني يوم القيامة والهول عظيم، والبشرية كلها محشورة إلى الله تعالى وقد دنت الشمس من الرؤوس، فمنهم من يصل العرق إلى كعبيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى رقبته، ومنهم من يسبح في عرقه.. ثم بدأ النداء على أسماء البشر، فلان بن فلان

هلمّ للعرض على الجبار، حتى سمعت اسمي ينادى للعرض على الجبار.. فاختمني البشر من حولي ووجدت نفسي لوحدي في موقف العرض والحساب، وإذا بشعبان ضخم يأتي فاتحاً فاه ليتلني، فركضت وركضت حتى وجدت رجلاً عجوزاً، فقلت له: أنقذني من هذا الشعبان فقال: يا بني أنا ضعيف، ولا أستطيع إنقاذك ولكن أركض في هذا الاتجاه لعلك تنجو فركضت كثيراً حتى وجدت النار أمامي والشعبان خلفي.. فبقيت أبكي حتى وجدت الرجل العجوز يبكي من حالي، فأشار إليّ في اتجاه آخر فكان جبل، وعلى الجبل أطفال صغار هم من ماتوا وتركوا آبائهم وأمهاتهم في الدنيا.. فنادوا على ابنتي: يا فاطمة أدركي أبك.. فجاءت فاطمة فعرفتني وعرفتني فأخذتني بيدها اليمنى، ودفعت الشعبان بيدها اليسرى، وجلست في حجري كما كانت تفعل في الدنيا، وأنا أرتعد فقلت: يا بني ما هذا الشعبان العظيم؟ قالت: هذا عملك السيئ، فقلت: وما هذا الشيخ العظيم؟ قالت: هذا عملك الصالح أنت أضعفته حتى لم يستطع أن ينقذك، ولولا موتي لما وجدت من ينقذك في هذا اليوم، ثم نادتني: يا أبت، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الحديد: ١٦]... فاستيقظت وأنا أقول: قد آن يا رب، قد آن يا رب.. فقممت واغتسلت وركضت إلى المسجد فإذا أذان الفجر.. فدخلت المسجد والإمام يقرأ نفس الآية، يقول: ففهمت على ربي.. وعلمت أنني إن لم أعد إليه اليوم، فقد لا يقبلني بعد اليوم.

وأنا أدعو كل من أتاه الله رسالة معينة أن يخبر بها.. فربما

نتقرب جميعاً إلى الله بذلك .

قصص من الواقع

ما شاء الله... لا حول ولا قوة إلا بالله

كنا عائدين من المصيف، وكنا نقتل أربعة سيارات، فنام سائق إحداها، فانقلبت رأساً على عقب، ورغم أنه لم يمت منا أحد إلا أننا حين استيقظنا علمنا أنه كان ممكن للإنسان أن تنتهي حياته في لحظة، ولم أكن محبة وكنت بعيدة عن القرآن تماماً، فبدأت أعود إلى الله ..

بعد التزامي بحوالي أربعة سنوات كان يقلقني جداً هل قبلني الله أم لا؟ هل هو راض عني أم لا؟ وفي إحدى الليالي وأنا أستعد للنوم كان الموضوع يشغلني جداً، فجاءني في النوم كأن أحداً يقول لي: أتريد معرفة هل الله راض عنك أم لا؟ تعالي لترى .. فرأيت كأن تلسكوباً كبيراً جداً ينظر للسماء فنظرت فيه فوجدت شكل السماء جميلاً جداً، فقلت: ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، واستيقظت وأنا أردد هذه الكلمة .. فعرفت كأن الله سبحانه يبلغني رسالة أن استمري وأكملي .

رسالة رمضان خالصة

والحقيقة أنا عندي شخصياً رسالة أحفظها تماماً وهي: «أنه بعد أي ذنب، لا بد أن تحصل للميارة حادثة أو خبطة» وبعد الذنب أنتظر هذه الحادثة وأتوقعها .. وهذا شيء لا يضايق؛ لأنه إن شاء الله خيراً .. فبعض الناس يذنبون فيمهلهم الله ويحسن إليهم فيتمادون

في هذا الذنب ظانين أنه صغير، وأنه لو كان فيه مشكلة لحاسبهم الله وعاقبهم عليه فيبقون على الذنب.. لكن من ينبهه الله برسالة على الذنب الذي حدث، فإن هذا معناه أنه يريد أن يقول له: قف.. فأنا شخصياً أضع لنفسي قاعدة في رمضان، أسأل الله المداومة عليها حتى الموت، هي المحافظة على الصلوات الخمس، صف أول في الجماعة الأولى على يمين الإمام، وأحاول بكل قوة أن أنفذها..

وفي إحدى الأعوام كنت متعوداً أن أصلي العصر في النادي ثم أذهب لممارسة الرياضة، حتى قبل المغرب ثم أفطر في البيت.. وفي أحد الأيام دخلت النادي، فسمعت صوت الإمام من المسجد يقول: سمع الله لمن حمده.. للأسف فاتتني الركعة الأولى، ولكن لا بأس سنلحق الجماعة الأولى إن شاء الله.. فجاء خاطر في ذهني أن أذهب لحجز الملعب، لأنني ببساطة سأكون بالجماعة ما دمت قد فاتتني تكبيرة الإحرام.. ولأن الملاعب في رمضان تكون مزدحمة جداً.. وبالفعل ذهبت إلى الملعب ووضعت أغراضي، فقابلني شاب، فقال لي: كلمة واحدة.. اعتذرت له للصلاة.. وفي وسط الحديث سمعت الإمام يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وهنا تذكرت مقولة جميلة لأحد الصالحين يقول: ليس العجب من عبد يتذلل إلى سيده، لكن العجب كل العجب من ملك يتودد إلى عبده.. فالله سبحانه هو الذي يرسل لنا إشارات ورسائل كي نفهم ونعود.. وكأنه يقول: أما آن لك يا عبدي، أن تعود!!

فتضايقت وندمت.. ضاعت الجماعة الأولى في رمضان!..

فركضت إلى المسجد، وأنا أركض لويت قدمي فبقيت ثلاثة أسابيع لا أستطيع المشي عليها، لا ألعب رياضة ولا شيء.. فهي رسالة «رمضانية» خالصة..

الحلم قد يكون رسالة

أرسل الله ﷻ لي رسالتين لكنني لم أفهمها.. وهما وفاة أخي الذي كان عمره تسعة عشر عاماً فقط، ثم مات بعده والذي في نفس العام.. لكن الرسالة الأخيرة أنني حلمت بأحوال الموت وما صاروا إليه، فهذا جعلني كأني أرى الموت وأؤكد أنه يمكن أن يأتي في أي لحظة، وكلما نويت على ذنب فالله بفضل العظم يغمرني، ويبعدني عن هذا الفعل..

لو مت كيف سأقابل ربي... وماذا سأقول له؟

اسمي هشام.. محاسب.. قبل فترة التقرب من الله سبحانه وتعالى.. نشأت في أسرة متدينة، تعرف الله، لكن للأسف كنت بعيداً عنهم وعن الصلاة، ربُّما أصلي الجمعة فقط. ومع فترة الجامعة بدأت المعاصي الفظيعة في حياتي، السهر والمخدرات.. وكنا نفعل كل شيء ولا نخاف من أي شيء! والحياة بالنسبة لنا كانت ماذا سنفعل في الليل؟ ولا أي هدف آخر.. وفي أحد الأيام شربنا «بانجو» كالعادة وضحكنا وسهرنا.. لكن عندما رجعت إلى البيت شعرت أن الدنيا سوداء أمامي..

وشعرت أن ملك الموت سيقبض روحي.. وكأن البيت كله ظلام وكأن شيئاً ما يخنقني وسألت نفسي كيف سأقابل الله؟ وآثار

المخدرات في جسمي.. فبقيت أدعو: يا رب لو تركتني فلن أذهب للمخدرات بعد اليوم أبداً.. والحمد لله نمت واستيقظت.. فبقيت قريباً من الله أكثر من يوم..

صحيح لم ألجأ للمخدرات، لكن السهر في الديسكو والمكر والخمر، وكل هذا لم أنقطع عنه.. وفي إحدى السهرات وبعد أن ذهبنا لبيوتنا فوجئت بمن يتصل بي يقول: تصور فلان مات.. قلت له: كيف.. كان معنا أمس وكان طبيعياً جداً شرب وضحك وكذا.. قال لي: أهله ذهبوا ليوظوه وجدوه ميتاً.. فذهبنا إلى بيته وجدناه على السرير.. لا حول ولا قوة له..

وسبحان الله بعده بفترة قصيرة.. أحد أصدقائي كنا نشاهد عملاً ما، وكان بجانبني أحد أصدقائي، وفي لحظة وقع في جورة المصعد ومات في لحظة.. كل هذه الأمور كان المفترض أن تؤثر فيّ وتعيدني إلى الله لكن للأسف كانت تأثيرات وقتية فقط..

ظروف العمل جعلتني أسافر للخارج وأستورد منتوجات وهكذا بدأت المعصية عندي تكبر جداً؛ يعني غرق في المعصية وابتعاد تام عن الله، وفي حينها.. جاء لي أبي في الحلم كان يمشي في الشارع، وقابلته فأردت أن أسلم عليه وأقبله، فوجدته يدير وجهه للناحية الأخرى.. بدأت أنادي عليه، فتظاهر أنه لا يسمعي.. ومشى في اتجاه آخر تماماً، ثم حلمت بحلم آخر، وأنا أبكي في غرفتي، وهو يجلس في غرفة أخرى، ولا يريد أن يأتي ليكلّني ولا يسأل عن سبب بكائي..

من هنا شعرت أن هناك شيئاً خطأ في حياتي.. ولم يقتصر

الأمر على هذا الحد ولكن امتد إلى أن اتصلت بي أختي وقالت لي:
أبي رحمه الله غضبان عليك جداً.. فلقد حلمت فيه، وقال لي:
الحقي أخوك هشام يسقط ويقع.. فبدأ الخوف من الموت
يتملكني.. وبدأت أسأل نفسي...

لو مت كيف سأقابل ربي.. وماذا سأقول له؟

بدأت أخاف جداً من الله ومن لقائه.. وبدأت أكره المعصية
بشدة إلى أن يسّر الله لي صديقاً، أعطاني شريطاً شديداً جداً وجذبني
إليه.. كأنه يكلمني أنا، كان الكلام يدور فيه حول أنك لو أردت أن
تقترب من الله وتحركت نحوه سيتجه هو إليك ويأخذ بيدك..
فتقرب إلى الله يتقرب إليك.. واتجه إليه كلما كنت تتجه إلى
المعصية، فالمبادرة ملك لك وحدك والرأي أنت صاحبه.

طبعاً أنا شعرت بضرورة التوبة إلى الله سبحانه وتعالى وهجر
المعاصي.. بدأت أشعر بكرم الله سبحانه وتعالى ونفسيّتي بدأت
ترتاح.. حتى لم أعد أشعر بخوف من الموت أو من لقاء الله
سبحانه وتعالى..

فحاولت حضور الدروس والذهاب إلى المساجد، وتغيير
الأصحاب.. وهذه بالذات مهمة جداً: أن تغير أصحابك، تبتعد
عنهم وتبدأ تغرس نفسك في بيئة صالحة طيبة، صحبة مؤمنة.

والحمد لله ذهبت إلى الحج هذا العام... وكنت قد خطبت
فتاة لكنها لم تكن ملتزمة، فكنت أدعو الله سبحانه لو كان فيها خير
قرّني إليها وقربها إليّ، ولو كان فيها شر، أبعدها عني.. وشعرت
حينها أن الكعبة تهتز، والمكان كله يرتج.. وأنا نفسي أرتج من

داخلي، والحمد لله وفَّقني الله لزوجتي صالحة.

وأنا موقن أنَّ الله غفورٌ رحيم.. وكنت أشعر بأهمية العودة إلى الله لأنَّه سبحانه أعدَّ الجنة، ولا تصلح إلا للمتقين.. لأنَّ الله أعدَّها لهم... إذاً لا بدُّ أن أتقي الله لأدخلها.. فأمامي طريق واحد لا غير.. لا يصح غيره ولا يصلح..

ما هي الخطوات العملية للإقبال على الله؟

المعقبة ناس كثير من يبالون عن هذا الامر.. يريدون فطرات عمليَّة للإقبال على الله والربيع اليه.. واسموا لي ان اصيب بكل عملي ومعد.. فطرات واقعية معدة تماماً لضبط النفس والالتزام مع الله وهي...

خمس نقاط ليست من عندي، ولكن الرسول ﷺ نبه إليها وهي مفاتيح للرجوع إلى الله :

أولاً: الصلوة في أول الوقت.. والمواظبة عليها، وهي أكثر ما يرضي الله، وأكثر ما يجعل العلاقة قائمة بينك وبينه..

ثانياً: ذكر الله.. ولو خمس دقائق في اليوم.. بأي صيغة: أستغفر الله... الحمد لله.. لا إله إلا الله...

ثالثاً: الدعاء إلى الله كل يوم.. أكيد أنك تحتاج إلى أشياء كثيرة من الله في الدنيا والآخرة، ادع بأي لغة، بما تشعر به وتحسه.

رابعاً: المحافظة على قراءة القرآن كل يوم.. ولو صفحة واحدة.

خامساً: البعد عن أصحاب السوء... أنا موقن أنك ستكون إنساناً آخر..

واصبُّ ان اقول شيئاً... يعني: هشام واصحابه بعث الله لهم رسائل بمرور صدقهم.. هذات الصدقات ما ذنبهم؟ ولما لم يبعث الله لهم رسائل؟... وما اصب ان اقرله؛ ان الله لا يترك ابداً ابداً الله ديبعت له رسالة، لكنّها توبلت بالرفض...

أريد أن أختم برسالة جميلة جداً، ليست مني، ولكنها رسالة ربّانية... حديث قدسي جميل يكلمنا الله فيه من عليائه، يقول: «يا عبادي إنّي حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً.. فلا تظالموا.. يا عبادي كلّمكم جائع إلّا من أطعته.. يا عبادي كلّمكم عارٍ إلّا من كسوته.. فاستكوني أكسكم.. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً.. فاستغفروني أغفر لكم.. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني.. ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.. يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد فسالوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك ممّا عندي، إلّا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر.. يا عبادي إنّما هي أعمالكم أحصياها لكم ثمّ أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلّا نفسه». [رواه مسلم، عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى] هذه رسالة ربّانية، أتمنى أن نفكر فيها، ونعامل مع رسائل الله تبارك وتعالى باهتمام وثقة...